فهب عند ذلك هبّة المدهوش الرجل وشكر الله حمداً على انهُ لم يزل بعد شاباً يتمكن من العدول عن طريق الرذيلة سعياً في طريق الفضيلة المؤدّية الى دار الامن والخصب والسعة

فتمثلوا يا ايها الشبّان عدولا اذا كنتم شاهيتموهُ ذهولًا واعلموا يا رعاكم الله ان هذا الحكم الهائل سيكون لكم حكماً صارماً اذا الجأكم الحال يوماً ان تهتفوا: «عُد ايها الشباب عُد». فانهُ اذا ذهب لن يعود واذا استجدتم المشيب لن يجود. . .

الخطّ العربي

نخبة من كتاب صُبح الاعشى في كتابة الانشا. للقلقشندي

وصفنا في نبذة سابقة (المشرق ٣: ٣١٠) فضل كتاب صُبح الاعشى للقلقشندي واخترنا منهُ فصولًا في شمار المالك الاسلامية استحسنها القرّاء فاستزادونا من طُرَف هذا التأليف القريد. فاحببنا ان نُثبت اليوم فصولًا أُخرى جليلة كتبها القلقشندي في الخطّ العربي. ولما كان هذا الباب واسعاً يشتمل على نيف وستّة صفحة في الاصل اخترنا منهُ قسماً فقط نتطرف بهِ قرّاءنا في مطلع هذه السنة الجديدة

ل. ش

الفصل الاول

في فضيلة الخطّ

قال جعفر بن يحيى: الخطّ سِمطُ الحكمة وبهِ تُفصَّل شذورها وينتظم منثورها. وقال النظّام: الخطّ اصل الروح لهُ جسدانيّة في سائر الاعمال الى ما يجري هذا المجرى (كذا). وقال ابراهيم بن محمد الشيباني: الخطّ لسان اليد وبهجة الضمير وسفير العقول ووصيّ الفكر وسلاح المعرفة وانس الاخوان عند الفرقة ومحادثتهم على بعد المسافة ومستودع السرّ وديوان الامور. وقال مُسلم بن الوليد: من عجائب الله تعالى في خلقهِ وانعامهِ عليهم من فضله تعليمهُ ايّاهم الكتابَ المفيدَ للباقين حكمَ الماضين والخاطب العيونَ بسرائر القلوب على لغات متفرّقة في معانٍ معقولة بحروف مؤلفة من الف وباء وجيم ودال متباينات الصور مختلفات الجهات لقاحُها التفكير ونتاجُها التأليف تخرّس منفردةً وتنطق مزدوجةً بلا اصواتٍ مسموعة ولا ألسن مردودة ولا حركات ظاهرة ما خلا قلماً جوّف باريهِ بطنهُ ليعلق المدادُ بهِ وأرهف جانبيهِ ليردَّ ما انتشر منهُ اليهِ وشقَّ رأسهُ ليحتبس الاستمداد عليهِ واربع من شقّتيهِ ليجمع حواشي تصويرهِ اليهِ.

فهناك اشتدّ القلم برشفهِ وقذف المادّة الى صدرهِ . ثم مجّها من شقّهِ بمقدار ما احتملت شفتاه بتخطيط اجزاء النقط التي اراد بها الخطوط فالابصار لها سامية فاذا حكّتها الالسنُ فالآذان لها واعية . واولى اسمائها بهـا حينئذٍ الكلام الذي سداه العقلُ واللحمةُ اللسان وقطعتهُ الاسنان ولفظتهُ الشفتان وصدّاهُ الجوّ وبرعتهُ الاسماع على انحاء شتّى وسُنيت لها الاشياء لتعريف متناكرها وتمييز متشابهها وتبيين معلومها من مجهولها . فمن ذلك فضلَ الكتابُ الصناعات وبالجملة فليس يذكر ذاكر شيئاً مما يجري بهِ الخاطر او يميل اليهِ العقل او يلقيهِ الفهم او يقع عليهِ الوهم او تدركهُ الحواس الّا والكتاب والكلام موكلان بهِ مدبّران لهُ معبّران عنهُ . فلمّا ان تضمّنت الحروف الدلالة وقامت الالفاظ بالعبارة ونطقت الافواه بكل لغة وتصرّف النطق بكل جهـة فلم تكتفِ منهُ أُمّةٌ بأمّة ولم تستغنِ عنهُ ملّة دون ملّة . فعرب ذلك بلغـة العرب التي هي القاهرة لجميع اللغات المنتظمة لجميع المعاني في وجيز الصفات . ولو لم يكن من شرف الخطّ الّا ان الله تعـالى انزلهُ على آدم او على هود عليهما السلام وانزل الصحف على الانبيـاء مسطورة وانزل الالواح على موسى عليهِ السلام مكتوبة لكان فيهِ كفاية . وايضاً فان فيهِ من حفظ الحقوق ومنع تردّد ذوي العقوق ما يسطر عليهم من الشهادات التي تقع في السجلّات والمكاتبات بين الناس لحوائجهم من المسافات البعيدة التي لا ينضبط مثل ذلك لحامل رسالة ولا ينالهُ الحاضر بمشافهة وان كثر حفظهُ وزادت بلاغته . ولذلك قيل : الخطّ افضل من اللفظ لان اللفظ يُفهم الحاضر فقط والخطّ يفهم الحاضر والغائب . ولله القائل في ذلك يصف القلم :

واخرسَ ينطقُ بالمحكماتِ وجثمانهُ صـامتٌ اجوفُ
بمكةَ ينطقُ في خفيـةٍ وبالشام منطقهُ يُعرَفُ

الفصل الثاني

في بيان حقيقة الخطّ

قال الشيخ شمس الدين بن الاكفاني في كتابهِ ارشاد القاصد في حصر العلوم : هو علم يُتعرّف من صور الحروف واوضاعها وكيفية تركيبها خطّاً وما يُكتب منها في السطور وكيف سبيلهُ ان يُكتب وما لا يُكتب . وابدال ما يُبدل منها في الهجاء وبماذا يبدل . (قال) وبهِ ظهرت خاصة النوع الانساني من القوة الى الفعل وامتاز بهِ عن سائر

الحيوان وضبط الاموال وترتيب الاحوال وحفظ العلوم في الادوار. واستمرارها على الاكوار. وانتقال الاخبار من زمان الى زمان. وحمل سر من مكان الى مكان. وبهذه الفضائل حافظتهُ العزيزة الانسانيَّة على قبوله بطلب تعلمه محافظةً لم يحتج بها الى تذكار بعد الغيبة ولهذه العلة استغنى عن كتاب تصنف فيه. (ثم قال) وجميع العلوم انما تُعرف بالدلالة عليها بالاشارة او اللفظ او الخط. والاشارة تتوقف على المشاهدة. واللفظ يتوقف على حضور المخاطب وسماعه. امَّا الخطّ فانهُ لا يتوقف على شيء. وهو اعلاها نفعًا واشرفها

واعلم انهُ قد تقدم في الكلام على اللغة (في النوع الاول مما يحتاج اليه الكاتب) انهُ ينبغي للكاتب ان يتعلم لغة من يحتاج الى مخاطبته او مكاتبته من غير اللغات العربيَّة فلذلك ينبغي ان يتعلم من الخطوط غير العربيَّة ما يحتاج اليه من ذلك فقد قال محمد بن عمر المدائني في كتاب القلم والدواة: «انهُ يجب عليه ان يتعلم الهندية وغيرها من الخطوط العجميَّة» ويؤيد ذلك ما تقدم في الكلام على اللغة. ان النبي صلى الله عليه وسلم امر زيد بن ثابت رضي الله عنهُ ان يتعلم كتاب يهود من السريانيَّة او العبرانية فتعلمها وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم كتبهم ويجيبهم عنهُ

الفصل الثالث

في بيان المقصود من وضع الخطّ والموازنة بينهُ وبين اللفظ

امَّا المقصود من وضعهِ فاعلم ان وضع اللفظ لاداء المعنى الحاصل في الذهن المشهود به للسمع اذ لا وقوف على ما في الذهن دونهُ ووضع الخط لاداء اللفظ المقصود فهمهُ للناظر فيه. فاذا اردتَ ايقافك احدًا على ما في ذهنك من المعاني تكلَّمت بالفاظ وُضعت لها. واذا اردت تأدية اللفظ لذلك الايقاف الى احد بغير شفاه نقشت النقوش الموضوعة لتلك الالفاظ فيطالع تلك النقوش ويفهم منها تلك الالفاظ ومن الالفاظ تلك المعاني. ولا علاقة معقولة بين المعاني والالفاظ على الامر العام ولا بين الالفاظ والنقوش الموضوعة ومن ثمَّ جاء اختلاف اللغات والخطوط كالعربية والروميَّة وغيرهما

واما الموازنة بينهُ وبين اللفظ فالاصل في ذلك ان الخط واللفظ يتقاسمان فضيلة البيان ويشتركان فيها من حيث انَّ الخطَّ دالّ على الالفاظ والالفاظ دالَّة على الاوهام. ولاشتراك الخطّ واللفظ في هذه الفضيلة وقع التناسب بينهما في كثير من احوالهما.

وذلك انهما يعبّران عن المعاني الّا انّ اللفظ معنى متحرك والخط معنى ساكن وهو وان كان ساكناً فانهُ يفعل فعل المتحرك بايصالهِ كلّ ما تضمّنهُ الى الافهام وهو مستقرّ في حيّزه ومكانهِ. فمن ثمّ كما ان اللفظ فيهِ العذب الرشيق السائغ في الاستماع كذلك الخط فيهِ الرائق المستحسن الاشكال والصور وكما ان اللفظ فيهِ الجزل الفصيح الذي يستعملهُ مصاقع الخطباء ومفاليق الشعراء والمبتذل السخيف الذي يستعملهُ العوام في المكاتبة والمخاطبة كذلك الخط فيهِ المحرَّر المحقق الذي تُكتب بهِ الكتب السلطانية والامور المهمّة وفيهِ المطلَق المُرسَل الذي يكاتب بهِ الناس ويستعملونهُ فيما بينهم. وكما انّ اللفظ يقع فيهِ لحن الاعراب الذي يُهجنهُ كذلك الخط يقع فيهِ لحن الهجاء. وكما انّ اللفظ اذا كان مقبولاً حلواً رفع المعنى الخسيس وقرّبهُ من النفوس وان كان غثّاً مستكرهاً وضع المعنى الرفيع وبعّدهُ من القلوب كذلك الخط اذا كان جيّداً حسناً بعث الانسان على قراءة ما أُودع فيهِ وان كان قليل الفائدة. وان كان رديئاً قبيحاً صرفهُ عن تأمّل ما تضمّنهُ وان كان جليل الفائدة. ولمّا اشترك اللفظ والخطّ في الفوائد العامّة التي جُعلت فيهما وقع الاشتراكُ ايضاً بين آلتهما اذ آلة اللفظ اللسان وآلة الخط القلم وكلّ منهما يفعل فعل الآخر في الابانة عن المعاني الّا انّ اللفظ لمّا كان دليلاً طبيعيّاً جُعلت آلتهُ آلةً طبيعيّة. والخط لمّا كان دليلاً صناعيّاً جُعلت آلتهُ آلةً صناعيّة. ولمّا تقاسمت الآلتان الدلالةَ كانت احداهما مناب الاخرى فاوقفوا اللسان على القلم فقالوا: « الاقلام ألسنة الافهام » وشركوا بينهما في الاسم فقالوا: « القلم احد اللسانين » (ستأتي البقيّة)

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم العلّامة رشيد الخوري الشرتوني

١

علمٌ بنا الى النصف الثاني من القرن الخامس عشر لأنهُ في ذلك العهد قد جرت حوادث الرواية التي نقصُّها اليوم على القارئ:

في ذات يوم من شهر شباط قارس البرد وغزير المطر شوهد خيّال راقياً في الطريق